والرئيس السادات بالذات واضح جدا حول هذه النقطة ، لا يخدع نفسه ولا يخدع أحدا ، فهو عندما يتحدث عن أن التفاهم مع أميركا حول قضية الصراع مع اسرائيل هو الطريق الوحيد للحل ، « لأن في يد أميركا كل أوراق اللعبة » ، لا ينفي أبدا أن أميركا هي العدو الأول ، بل هو يؤكد هذه الصفة ثم يستنتج معلقا : « أنا لا أقدر على محاربة أمريكا » (راجع نصوص العديد من الخطابات التي استعاد فيهـا الرئيس السادات أكثر من مرة ظروف اقدامه على اتخاذ قرار وقف اطلاق النار في ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، حين يؤكد أن ذروة اقتناعه بضرورة التفاهم مع أميركا حول الحل ، ولدت مع ذروة اكتشافه لمدى تورط أميركا في معاداتها للعرب ودعمها لاسرائيل) .

في هذه النقطة الشديدة الوضوح والرمزية ، يكمن المنطق السياسي الذي يسيطر على المنطقة العربية بشكل رئيسي في هذه المرحلة ، ومن الواضح تماما أن الولايات المتحدة هي في مقدمة الدول المتنبهة لهذا المنطق ، وفي مقدمة الدول والقوى القادرة على الاستفادة منه .

لقد قفز النفوذ الاميركي في أعقاب معركة السويس عام ١٩٥٦ ، يحاول أن يسترد الفرصة التي أضاعها بحساباته الخاطئة التي بناها ، على طرح تحدي رفض تسليح الجيش المصري ورفض تمويل مشروع السد العالي (متأكدا من عدم قدرة مصر على قبول التحدي) فأطلق دالس المشروع الشهير باسم «مشروع ايزنهاور» لملء «الفراغ» الذي خلفه انهيار النفوذ الانجليزي — الفرنسي ، بالوجود الاميركي . وكانت الحسابات الاميركية هذه المرة تعتمد على انـه اذا كانت مصر قد قبلت التحدي علـى أرضها في موضوعي التسلح والسد العالي ، فلن يكون في وسعها قبول التحدي عندما يكون على مستوى الارض العربية .

ولكن مصر قبلـت التحدي مرة اخرى ازاء مشروع « مـلء الفراغ » الاميركي ، ومشروع حلف بغداد ، ولم يكن من نتائج معركة التحدي هذه فقط هزيمة جديدة للنفوذ الاميركي في المنطقة ، وفشلا للمخططات الاميركية ، بل كانت له أيضا نتيجة مضاعفة بالغة الأهمية هي بلورة الدور القومي لمصر ووصول هذا الدور الى احدى ذراه بتحقيق الوحدة مع سورية عام ١٩٥٨ .

وعلى قدر ما كان التحدي كبيرا ، وعلى قدر ما كانت الجرأة في قبول التحدي كبيرة ، جاء الانتقام — او العقاب — كبيرا هو الآخر ، وكانت عملية الانفصال التي كان فيها للنفوذ الاميركي دور بارز لا يمكن أن تخفيه أو تخفف من أهميته الصعوبات والاخطاء الاكيدة التي مرت بها عملية تطبيق الوحدة .

ولكن الاختيار ، في مرحلة عبد الناصر ، كان نهائيا وكان استراتيجيا ، ولذلك كان لا بد لحركة مصر القيادية في الوطن العربي من أن تخضع لمنطق موحد .

لذلك كان منطقيا جدا أن تتسع رقعة الاستجابة للتحدي كلما اتسعت رقعة التحدي نفسه ، وأن تتطور أساليب المواجهـة وأدواتها ، بتطور أساليب التحدي المطروح وأدواته ، وكانـت حرب اليمن ذروة من ذرى هـذا التحدي ، حـين انتقلت ارادة الاستقلال العربي ووحدة المصير العربي لتدافع عن نفسها على الطرف الغربي الجنوبي من الجزيرة العربية (اليمن) التي تحضن في جوفها أكبر ثروة اقتصادية عربية .

وعند هذا الحد ، ومع جرأة عملية الانتقال العسكري المصري الى اليمن ، ومع حساسية الجوار اليمني ، أدرك الاستعمار الاميركـي أن مصر اذا استمرت في الشب